التوحيد للنورسي

أَولا ترى أَن مَا لَا قُوَّة لَهُ أصلا وَلَا يقوى على حمل نَفسه يحمل آلَاف الأرطال من الْحمل الثقيل أَولا تشاهد أَن مَا لَا إِدْرَاك لَهُ وَلَا شُعُور يقوم بأعمال فِي غَايَة الْحِكْمَة فَهَذِهِ الْأَشْيَاء إِذن لَا تعْمل مُسْتَقلَّة بِنَفسِهَا بل لَا بُد أَن مولى عليما وصانعا قَدِيرًا يديرها من وَرَاء الْحجب إِذْ لَو كَانَت مُسْتَقلَّة بذاتها وأمرها بِيَدِهَا للَزِمَ أَن يكون كل شَيْء هُنَا صَاحب معْجزَة خارقة وَمَا هَذِه إِلَّا سفسطة لَا معنى لَهَا

فَإِذا مَا استبعد عقلك أَن بديعا وَاحِدًا أحدا هُوَ الْمَالِك لهَذِهِ المملكة وَهُوَ الَّذِي يديرها فَمَا عَلَيْك إِلَّا قبُول ملايين الملايين من الصانعين المبدعين بل بِعَدَد الموجودات كل مِنْهَا ند الآخر ومثيله وبديله ومتدخل فِي شؤونه مَعَ أَن النظام المتقن البديع يَقْتَضِي عدم التدخل فَلَو كَانَ هُنَاكَ تدخل مهما كَانَ طفيفا وَمن أَي شَيْء كَانَ وَفِي أَي أَمر من أُمُور هَذِه المملكة الهائلة لظهر أَثَره وَاضحا إِذْ تختلط الْأُمُور وتتشابك إِن كَانَ هُنَاكَ سيدان فِي قَرْيَة أَو محافظان فِي

مَدِينَة أَو سلطانان فِي مملكة فَكيف بحكام لَا يعدون وَلَا يُحصونَ فِي مملكة منسقة بديعة

أَنه مَا من شَيْء فِي هَذَا الْعَالم إِلَّا وَكَأَنَّهُ يتطلع إِلَى الآخر فيغيثه أَو يرى الآخر فيشد من أزره ويعاونه فيكمل الْوَاحِد عمل الآخر وَيكون ظهيره وَسَنَده وَيتَوَجَّهُ الْجَمِيع جنبا إِلَى جنب فِي طَرِيق الْحَيَاة فَهَذِهِ الظَّوَاهِر جَمِيعهَا تدلنا دلَالَة قَاطِعَة وبيقين جازم أَنه مَا من شَيْء فِي هَذَا الْقصر العجيب إِلَّا وَهُوَ مسخر لمالكه

والأقمشة الملونة المزدانة بالأزهار أَنَّهَا تصنع من مَادَّة وَاحِدَة فَالَّذِي هيأ تِلْكَ الْمَادَّة وغزلها لَا بُد أَنه وَاحِد لِأَن تِلْكَ الصَّنْعَة لَا تقبل الِاشْتِرَاك

أحد كَذَلِك القوافل المتعاقبة والتحولات المترادفة دَلِيل على دوَام ذَلِك السُّلْطَان وبقائه لِأَن الْأَشْيَاء الزائلة إِنَّمَا تَزُول مَعهَا أَسبَابهَا أَيْضا فالأشياء والأسباب تزولان مَعًا بَيْنَمَا الَّتِي تعقبها تَأتي جَدِيدَة وَلها آثَار كسابقتها فَهِيَ إِذا لَيست من فعل تِلْكَ الْأَسْبَاب بل مِمَّن لَا يطْرَأ عَلَيْهِ الزَّوَال فَكَمَا أَن بَقَاء

اللمعان والتألق بعد زَوَال حباب النَّهر الجَارِي فِي الَّتِي تعقبها من الحْباب يفهمنا أَن هَذَا التألق لَيْسَ من الحْباب الزائلة بل هُوَ من مصدر نور دَائِم كَذَلِك تبدل الْأَفْعَال بالسرعة المذهلة وتلون الَّتِي تعقبها وانصباغها بصفاتها يدلنا على أَن تِلْكَ الْأَفْعَال إِنَّمَا هِيَ تجليات من هُوَ دَائِم لَا يَزُول وقائم لَا يحول والأشياء جَمِيعًا نقوشه ومراياه وصنعته لَيْسَ إِلَّا

فَكَمَا أَن البضاعة يعرف مَالِكهَا بشكلين كَذَلِك التَّوْحِيد فَأَنَّهُ على نَوْعَيْنِ

الأول التَّوْحِيد الظَّاهِرِيّ الْعَامِيّ وَهُوَ أَن الله وَاحِد لَا شريك لَهُ وَلَا مثيل وَهَذَا الْكَوْن كُله ملكه

الثَّانِي التَّوْحِيد الْحَقِيقِيّ وَهُوَ الْإِيمَان بِيَقِين أقرب مَا يكون إِلَى الشُّهُود بوحدانيته سُبْحَانَهُ وبصدور كل شَيْء من يَد قدرته وَبِأَنَّهُ لَا شريك لَهُ فِي ألوهيته وَلَا معِين لَهُ فِي ربوبيته وَلَا ند لَهُ فِي ملكه إِيمَانًا يهب لصَاحبه الاطمئنان الدَّائِم وسكينة الْقلب لرُؤْيَته آيَة قدرته وَختم ربوبيته وَنقش قلمه على كل شَيْء فينفتح شباك نَافِذ من كل شَيْء إِلَى نوره سُبْحَانَهُ

اللمعة الاولى

الْأَسْبَاب لَيست إِلَّا ستائر أَمَام تصرف الْقُدْرَة الإلهية لِأَن الْعِزَّة وَالْعَظَمَة تقتضيان الْحجاب أما الْفَاعِل الْحَقِيقِيّ فَهُوَ الْقُدْرَة الصمدانية

وَهُنَاكَ حِكْمَة أُخْرَى للأسباب الظَّاهِرِيَّة وَهِي عدم تَوْجِيه الشكاوي الجائرة والاعتراضات الْبَاطِلَة إِلَى الْعَادِل الْمُطلق جلّ وَعلا أَي وضعت الْأَسْبَاب لتَكون هدفا لِتلْك الاعتراضات وَتلك الشكاوي لِأَن التَّقْصِير صادر مِنْهَا وناشيء من افتقار قابليتها

اللمْعَة الثَّانِيَة اختام الْخَالِق على الْحَيَاة

إِنَّه يخلق من شَيْء وَاحِد كل شَيْء ويخلق من كل شَيْء شَيْئا وَاحِدًا فَمن مَاء النُّطْفَة بل من مَاء الشّرْب يخلق مَا لَا يعد من أجهزة الْحَيَوَان وأعضائه فَهَذَا الْعَمَل لَا محَال خَاص بقدير مُطلق الْقُدْرَة

اللمْعَة الثَّالِثَة اختام ربانية على ذَوي الْحَيَاة

التوحيد للنورسي

أنظر إِلَى ذَوي الْحَيَاة المتجولة فِي خضم هَذِه الكائنات السيالة وَبَين هَذِه الموجودات السيارة تَرَ أَن على كل كَائِن حَيّ أختاما كَثِيرَة وَضعهَا الْحَيّ القيوم

أنظر إِلَى ختم وَاحِد مِنْهَا

أَن ذَلِك الْكَائِن الْحَيّ وَليكن هَذَا الْإِنْسَان كَأَنَّهُ مِثَال مصغر للكون وَثَمَرَة لشَجَرَة الْخلقَة ونواة لهَذَا الْعَالم حَيْثُ أَنه جَامع لمعظم نماذج أَنْوَاع العوالم وَكَأن ذَلِك الْكَائِن الْحَيّ قَطْرَة محلوبة من الْكَوْن كُله مستخلصة بموازين علمية حساسة لذا يلْزم لخلق هَذَا الْكَائِن الْحَيّ وتربيته ورعايته أَن يكون الْكَوْن قاطبة فِي قَبْضَة الْخَالِق وَتَحْت تصرفه فَإِن لم يكن عقلك غارقا فِي الأوهام فستفهم أَن جعل النحلة الَّتِي تمثل كلمة من كَلِمَات الْقُدْرَة الربانية بِمَثَابَة فهرس مصغر لكثير من الْأَشْيَاء وَكِتَابَة أغلب مسَائِل كتاب الْكَوْن فِي كيان الْإِنْسَان الَّذِي يمثل صحيفَة من قدرته سُبْحَانَهُ

نخلص من هَذَا أَن هُنَاكَ من كل ذرة ثَلَاثَة شبابيك نَافِذَة مفتحة إِلَى نور وحدانية الله جلّ جَلَاله وَإِلَى وجوب وجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

النافذة الأولى/إِن كل ذرة كالجندي الَّذِي لَهُ علاقَة مَعَ كل دَائِرَة من الدَّوَائِر العسكرية

هُوَ حمل الذّرة على كاهلها وظائف عَظِيمَة جدا ومتنوعة جدا مَعَ عجزها الْمُطلق

لقد أحصيت ذَات يَوْم عناقيد سَاق نحيفة لعنب متسلق بغلظ أصبعين تِلْكَ العناقيد الَّتِي هِيَ معجزات الرَّحِيم ذِي الْجمال فِي بُسْتَان كرمه فَكَانَت مائَة وَخَمْسَة وَخمسين عنقودا وأحصيت حبات عنقود وَاحِد مِنْهَا فَكَانَت مائَة وَعشْرين حَبَّة فتأملت وَقلت لَو كَانَت هَذِه السَّاق الهزيلة خزانَة مَاء معسل وَكَانَت تُعْطِي مَاء باستمرار لما كَانَت تَكْفِي أَمَام لفح الْحَرَارَة مَا ترْضِعه مئات الحبات المملوءة من شراب سكر الرَّحْمَة وَالْحَال أَنَّهَا قد لَا تنَال إِلَّا رُطُوبَة ضئيلة جدا فَيلْزم أَن يكون الْقَائِم بِهَذَا الْعَمَل قَادِرًا على كل شَيْء فسبحان من تحير فِي صنعه الْعُقُول

أحقا أَن كل شَيْء بحاجة إِلَى الرزق

نعم كَمَا أننا نرى أَن كل فَرد بحاجة إِلَى رزق يديم حَيَاته كَذَلِك جَمِيع موجودات الْعَالم وَلَا سِيمَا الْأَحْيَاء الْكُلِّي مِنْهَا والجزئي أَو الْكل والجزء لَهَا فِي كيانها وَفِي بَقَائِهَا وَفِي حَيَاتهَا وإدامتها مطالب كَثِيرَة وضروريات عديدة مَادَّة وَمعنى وَمَعَ أَنَّهَا مفتقرة ومحتاجة إِلَى أَشْيَاء كَثِيرَة مِمَّا لَا يُمكن أَن تصل يدهَا إِلَى أدناها بل لَا تَكْفِي قُوَّة ذَلِك الشَّيْء وَقدرته للحصول على أَصْغَر مطالبه نشاهد أَن جَمِيع تِلْكَ المطالب والأرزاق المادية والمعنوية تسلم إِلَى يَدَيْهِ من حَيْثُ لَا يحْتَسب وبانتظام كَامِل وَفِي الْوَقْت الْمُنَاسب تَسْلِيمًا مُوَافقا لِحَيَاتِهِ متسما بالحكمة الْكَامِلَة

اللمْعَة الثَّامِنَة الْمَالِك للْكُلّ هُوَ الْمَالِك للجزء

فَلَو قيل لتفاحة ذَات شُعُور أَنْت مصنوعتي أَنا فسترد عَلَيْهِ تِلْكَ التفاحة بِلِسَان الْحَال قائلة

صه لَو اسْتَطَعْت أَن تكون قَادِرًا على تركيب مَا على سطح الأَرْض من تفاح

بل لَو أَصبَحت متصرفا فِي مَا على الأَرْض من نباتات مثمرة من جنسنا بل متصرفا فِي هَدَايَا الرَّحْمَن الَّتِي يجود بهَا من خزينة الرَّحْمَة فَادع آنذاك الربوبية عَليّ

فتلطم تِلْكَ التفاحة بِهَذَا الْجَواب فَم ذَلِك الأحمق لطمة قَوِيَّة

فَإِن موت تِلْكَ المصنوعات وزوالها بأسبابها الظَّاهِرَة يبين تفاهة تِلْكَ الْأَسْبَاب وعجزها وَكَونهَا ستارا وحجابا لَيْسَ إِلَّا

أَيهَا الشقي الأعجز من الذُّبَاب والأحقر مِنْهُ من أَنْت حَتَّى تورط نَفسك فِي تَكْذِيب مَالك الْكَوْن ذِي الْجلَال وَالْإِكْرَام

نعم أَن تجهيز الْجَيْش بأكمله بالمؤن والعتاد بِأَمْر صادر من قَائِد وَاحِد من مصدر وَاحِد يكون هَذَا التَّجْهِيز سهلا وبسيطا كتجهيز جندي وَاحِد بَيْنَمَا يكون صعبا بل مُمْتَنعا إِن كَانَ كل جندي يتجهز من معامل مُتَفَرِّقَة ويتلقى الْأَوَامِر من إدارات مُتعَدِّدَة كَثِيرَة إِذْ عندئذ يحْتَاج كل جندي إِلَى معامل بِقدر أَفْرَاد الْجَيْش بأكمله

إِن الموجودات تخلق وَتظهر إِلَى الْوُجُود بِوَجْهَيْنِ

الأول الْخلق من الْعَدَم وَهُوَ مَا يعبر عَنهُ ب الابداع والاختراع

الثَّانِي إنشاؤها من عناصر مَوْجُودَة وتركيبها من أَشْيَاء حَاضِرَة أَي ب التَّرْكِيب

والإنشاء

إِذْ من لَا يُؤمن بِالتَّوْحِيدِ تنطفيء لَدَيْهِ شعلة رغباته ومطالبه كلهَا وتنمحي عِنْده

جَمِيع الحكم المودعة فِي خلق الْكَوْن وتتلاشى أَمَامه أَكثر الكمالات الْمَوْجُودَة

والثابتة مثلا إِن رَغْبَة حب الْبَقَاء بل عشقه عميقة فِي الْإِنْسَان

لَا تَجِد اطمئنانها وسكونها لَدَى الَّذِي لَا يُؤمن بِالتَّوْحِيدِ وانفراد الله سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَى لذا تبقى لَدَيْهِ هَذِه الرغبات عقيمة دون نتائج قَاصِرَة عَن بُلُوغ مداها

مبتورة منكمشة حَقًا أَن حَاجَة الْإِنْسَان ورغباته لَا يشبعها إِلَّا الله

إِن ثَوَاب جَمِيع الْحَسَنَات الَّتِي ينالها جَمِيع أَفْرَاد الْأمة وعَلى مدى جَمِيع العصور

مَكْتُوب مثله فِي صحيفَة حَسَنَاته صلى الله عَلَيْهِ وَسلم إِذْ هُوَ السَّبَب فِي نيل

كل ثَوَاب تناله أمته إِلَى يَوْم الْقِيَامَة

تأمل فِي هَذَا ثمَّ فكر فِي الْمقَام الْمُعظم اللَّائِق الَّذِي يَقْتَضِيهِ مَجْمُوع الْأَدْعِيَة غير المحدودة والصلوات المقبولة المرفوعة يوميا من الْأمة كَافَّة تدْرك عندئذ دَرَجَته الْعَالِيَة الرفيعة ويمكنك أَن تفهم أَن شخصيته المعنوية شمس الكائنات والسراج الْمُنِير لِلْخلقِ أَجْمَعِينَ

إِن الْإِنْسَان يمثل أعظم مقصد من الْمَقَاصِد الإلهية فِي الْكَوْن وَهُوَ المؤهل لإدراك الْخطاب الرباني وَقد اخْتَارَهُ سُبْحَانَهُ من بَين مخلوقاته وَاصْطفى من بَين الْإِنْسَان المكرم من هُوَ أكمل وَأفضل وَأعظم إِنْسَان بِأَعْمَالِهِ وآثاره الْكَامِلَة ليَكُون مَوضِع خطابه الْجَلِيل باسم النَّوْع الإنساني كَافَّة بل باسم الكائنات جَمِيعًا

فَكل من عرف الله تَعَالَى حق الْمعرفَة وملأ قلبه من نور محبته سَيكون أَهلا لسعادة لَا تَنْتَهِي ولنعمة لَا تنضب

ن روح الْإِنْسَان المتلهفة إِلَى حاجات غير محدودة والمستهدفة من قبل أَعدَاء لَا يعدون هَذِه الرّوح المبتلاة بَين حاجات لَا تَنْتَهِي وأعداء لَا يحصرون تَجِد فِي

هَذِه الْكَلِمَة الْعَظِيمَة (التوحيد) منبعا ثرا من الاستمداد بِمَا يفتح لَهَا أَبْوَاب

خَزَائِن رَحْمَة وَاسِعَة ترد مِنْهَا مَا يطمئن جَمِيع الْحَاجَات وتضمن جَمِيع المطاليب

إِذْ أرسل إِلَيْك هَدِيَّة ولتكن تفاحة مثلا فَإِن هَذِه الْهَدِيَّة تنطوي على لَذَّة تفوق

لَذَّة التفاح المادية بأضعاف الْأَضْعَاف تِلْكَ هِيَ لَذَّة الِالْتِفَات الملكي والتوجه

السلطاني المكلل بالتخصيص وَالْإِحْسَان كَذَلِك فَإِن كلمة لَهُ الْحَمد تفتح

أمامك بَابا وَاسِعًا تتدفق مِنْهُ لَذَّة معنوية خَالِصَة هِيَ ألذ من تِلْكَ النعم نَفسهَا

بِأَلف ضعف

بشراكم الْمَوْت لَيْسَ إعداما وَلَا عَبَثا وَلَا سدى وَلَا انقراضا وَلَا انطفاء وَلَا

فراقا أبديا كلا فالموت لَيْسَ عدما وَلَا مصادفة وَلَا انعداما ذاتيا بِلَا فَاعل بل

هُوَ تَسْرِيح من لدن فعال حَكِيم رَحِيم

وتبديل مَكَان وتغيير مقَام وسوق نَحْو السَّعَادَة الخالدة حَيْثُ الوطن الْأَصْلِيّ أَي

هُوَ بَاب وصال لعالم البرزخ عَالم يجمع تسعا وَتِسْعين بالمئة من الأحباب

أَنْت ذَاهِب إِلَى الْبَقَاء لَا إِلَى الفناء وَأَنت مسوق إِلَى الْوُجُود الدَّائِم لَا إِلَى الْعَدَم وَأَنت مَاض إِلَى عَالم النُّور لَا إِلَى الظُّلُمَات وَأَنت سَائِر نَحْو مَوْلَاك ومالكك الْحق وَأَنت عَائِد إِلَى مقرّ سُلْطَان الْكَوْن سُلْطَان الْوُجُود سترتاح وتنشرح فِي ميدان التَّوْحِيد دون الْغَرق فِي الْكَثْرَة أبدا فَأَنت مُتَوَجّه إِلَى اللِّقَاء والوصال دون البعاد والفراق

نعم إِن مَا يَظُنُّونَهُ أساسا لكل شَيْء من جذب وَدفع وحركة وَقُوَّة وأمثالها إِنَّمَا هُوَ ناموس الهي يمثل قوانين عادات الله وَاسم لَهَا فَهَذِهِ القوانين مَقْبُولَة بِشَرْط أَلا تنْتَقل من كَونهَا قَاعِدَة إِلَى طبيعة فاعلة وَمن شَيْء ذهني إِلَى حَقِيقَة خارجية وَمن أَمر اعتباري إِلَى حَقِيقَة مَشْهُودَة وَمن آلَة قِيَاس إِلَى مُؤثر حَقِيقِيّ

والشريعة الإلهية اثْنَتَانِ

إِحْدَاهمَا الشَّرِيعَة الْآتِيَة من صفة الْكَلَام الَّتِي تنظم أَفعَال الْعباد الاختيارية

وَالثَّانِيَة الشَّرِيعَة الْآتِيَة من صفة الْإِرَادَة الَّتِي تسمى بالأوامر التكوينية والشريعة الفطرية وَهِي محصلة قوانين عادات الله الْجَارِيَة فِي الْكَوْن

فَكَمَا أَن الشَّرِيعَة الأولى عبارَة عَن قوانين معقولة فَإِن الشَّرِيعَة الثَّانِيَة أَيْضا عبارَة عَن مَجْمُوع القوانين الاعتبارية وَالَّتِي تسمى خطأ بالطبيعة فَهَذِهِ القوانين لَا تملك التَّأْثِير الْحَقِيقِيّ وَلَا الإيجاد اللَّذين هما من خَواص صفة الْقُدْرَة الإلهية

سُؤال بِمَ يثبت النظام والانتظام والتناسق

الْجَواب أَن الْعُلُوم الكونية الَّتِي توصل إِلَيْهَا الْإِنْسَان إِنَّمَا هِيَ كالحواس لنَوْع الْإِنْسَان وكالجواسيس تكشف لَهُ عَن مجَاهِيل لَا يصلها بِنَفسِهِ فبالاستقراء التَّام يُمكنهُ أَن يتَوَصَّل إِلَى كشف ذَلِك النظام بِتِلْكَ الْحَواس والجواسيس فَكل نوع من أَنْوَاع الكائنات قد خص بِعلم أَو فِي طَرِيقه إِلَى ذَلِك لذا يظْهر كل علم مَا فِي نَوعه من انتظام ونظام بكلية قَوَاعِده لِأَن كل علم فِي الْحَقِيقَة عبارَة عَن دساتير وقواعد كُلية وكلية الْقَوَاعِد تدل على حسن النظام إِذْ مَا لَا نظام لَهُ لَا تجْرِي فِيهِ الْكُلية فالإنسان مَعَ أَنه قد لَا يحِيط بِنَفسِهِ بالنظام كُله إِلَّا أَنه يُدْرِكهُ بجواسيس الْعُلُوم فَيرى أَن الْإِنْسَان الْأَكْبَر وَهُوَ الْعَالم منظم كالإنسان الْأَصْغَر

سَوَاء بِسَوَاء فَمَا من شَيْء إِلَّا ومبني على أسس حكيمة فَلَا عَبث وَلَا شَيْء سدى

هُنَاكَ أصُول أَرْبَعَة للعروج إِلَى عرش الكمالات وَهُوَ معرفَة الله جلّ جَلَاله

أَولهَا مَنْهَج الصُّوفِيَّة المؤسس على تَزْكِيَة النَّفس والسلوك الإشراقي

ثَانِيهَا مَنْهَج عُلَمَاء الْكَلَام الْمَبْنِيّ على الْحُدُوث والإمكان فِي إِثْبَات وَاجِب الْوُجُود

وَمَعَ أَن هذَيْن الْأَصْلَيْنِ قد تشعبا من الْقُرْآن الْكَرِيم إِلَّا أَن الْبشر قد أفرغهما فِي صور شَتَّى لذا أصبحا منهجين طويلين وَذَوي مشاكل فَلم يبقيا مصانين من الأوهام والشكوك

ثَالِثهَا مَسْلَك الفلاسفة المشوب بالشكوك والشبهات والأوهام

رَابِعهَا وأولاها طَرِيق الْقُرْآن الْكَرِيم الَّذِي يعلنه ببلاغته المعجزة وبجزالته الساطعة فَلَا يوازيه طَرِيق فِي الاسْتقَامَة والشمول فَهُوَ أقصر طَرِيق وأقربه إِلَى

الله وأشمله لبني الْإِنْسَان

ولبلوغ عرش هَذَا الأَصْل هُنَاكَ أَربع وَسَائِل الإلهام التَّعْلِيم التَّزْكِيَة التدبر

وَأَن لِلْقُرْآنِ الْكَرِيم فِي معرفَة الله سُبْحَانَهُ وَإِثْبَات وحدانيته طَرِيقين

الأول دَلِيل الْعِنَايَة والغاية فَجَمِيع الْآيَات الْكَرِيمَة الَّتِي تعد مَنَافِع الْأَشْيَاء

وتذكر حكمهَا إِنَّمَا هِيَ نساجة لهَذَا الدَّلِيل وَمظَاهر لتجلي هَذَا الْبُرْهَان وزبدة

هَذَا الدَّلِيل هِيَ إتقان الصنع فِي النظام الْأَكْمَل فِي الكائنات وَمَا فِيهَا من رِعَايَة

الْمصَالح وَالْحكم

الدَّلِيل القرآني الثَّانِي هُوَ دَلِيل الاختراع وخلاصته

إِن الله تَعَالَى أعْطى لكل فَرد وَلكُل نوع وجودا خَاصّا هُوَ منشأ آثاره

الْمَخْصُوصَة ومنبع كمالاته اللائقة إِذْ لَا نوع يتسلسل الْأَزَل لِأَنَّهُ من

الممكنات ولبطلان التسلسل وَإِن الْحَقَائِق لَا تنْقَلب بل ثَابِتَة والأنواع المتوسطة

لَا تدوم سلاسلها أما تحول الْأَصْنَاف فَهُوَ غير انقلاب الْحَقَائِق

النُّكْتَة الثَّانِيَة لَا تقتصر حواس الْإِنْسَان الظَّاهِرَة والباطنة على الْخَمْسَة الْمَعْرُوفَة حاسة السّمع والذوق وَالْبَصَر. . الخ وَإِنَّمَا لَهُ نوافذ كَثِيرَة مطلة إِلَى عَالم الْغَيْب فَلهُ حواس كَثِيرَة غير مَعْلُومَة فحاسة السُّوق وحاسة الشوق لَدَيْهِ حواس لَا تكذب وَلَا تزل

النُّكْتَة الثَّالِثَة لَا يُمكن أَن يكون شَيْء موهوم مبدءا لحقيقة خارجية فنقطة الِاسْتِنَاد والاستمداد حقيقتان ضروريتان مغروزتان فِي الْفطْرَة والوجدان حَيْثُ أَن الْإِنْسَان مكرم وَهُوَ صفوة الْمَخْلُوقَات فلولاها لتردى الْإِنْسَان إِلَى أَسْفَل سافلين بَيْنَمَا الْحِكْمَة والنظام والكمال فِي الكائنات يرد هَذَا الِاحْتِمَال

النُّكْتَة الرَّابِعَة إِن الوجدان لَا ينسى الْخَالِق مهما عطل الْعقل نَفسه وأهمل عمله بل حَتَّى لَو أنكر نَفسه فالوجدان يبصر الْخَالِق وَيرَاهُ ويتأمل فِيهِ وَيتَوَجَّهُ إِلَيْهِ والحدس الَّذِي هُوَ سرعَة انْتِقَال فِي الْفَهم يحركه دَائِما

إِذْ الْإِنْسَان إِن لم يعْتَقد بالخالق الْحَكِيم الَّذِي كل أمره نظام وَحِكْمَة وَأسْندَ الْأُمُور والحوادث إِلَى المصادفات العمياء وركن إِلَى مَا يملكهُ من قُوَّة هزيلة لَا

تقاوم شَيْئا من المصائب فَإِنَّهُ سينهار حتما من فزعه وخوفه من هول مَا يُحِيط بِهِ من بلايا وسيشعر بحالات اليمة تذكره بِعَذَاب جَهَنَّم وَهَذَا مَا لَا يتَّفق وَكَمَال روح الْإِنْسَان المكرم



هذا النّوع من العلوم لا يحصل من ترتيب المقدّمات و إيراد الشّبهات، بل بمخالفة الهوى، و قمع محبّة الدّنيا، و التّحقّق بحقائق التّقوى.

اشترك نوع الإنسان مع الملأ الأعلى في الطّلب، و اختلفا في الكيفيّة، فإنّهم يطلبونه بالأنوار العقليّة لكونهم عقولا مجرّدة، و هو جلّت عظمته محتجب عن العقول، فأنّى لهم سبيل الوصول إلى أسرار الذّات و حقائق الصّفات .

و من هذا النّوع من يطلبه به لكون الحقّ سمعه و بصره، و منهم من يطلبه بنظره العقليّ .وطالب الدّليل على صحّة وجدان أهل الطّريقة هذا شي ء لا يقوم عليه الدّليل إلّا الذّوق.فأهل الله علموا الحقّ بإعلامه تعالى، لكون الحقّ علّمهم، كما كان سمعهم و بصرهم .

مقدمة في الأسماء الإلهية

اعلم أنّ الأصل في الذّات المقدّسة تباركت و تعالت التّعرّي و التّنزّه عن الصّفات، و إطلاقه عن التّقييد بالصّفات، و غناه عن العالم، لأنّ كلّ اسم و صفة يقتضي كونا من الأكوان، و لا ظهور لها إلّا بها، فلو كان في الوجود ما تطلب الأسماء ظهورها لزم منه قدم العالم، و قد صحّ في الخبر الوارد: «كان الله و لم يكن معه شيء »، فلا ظهور لأحكام الأسماء إلّا في القوابل، و ليس ذلك إلّا بإخراجها الأعيان عن حضرة الثّبوت، و حصولها في عرضة الوجود، فلمّا اكتسى الأعيان الثّابتة حلّة الوجود حصل مراتب أنواعها في نفس الأمر، فعند حصولها في محلّ سلطنة اسم الظّاهر الحاكم على ولاية المظاهر ظهرت آثار الأسماء الحسنى، و برزت نتائج الصّفات العليا .

و الأسماء غير متناهية، لأنّها حضرات تتضمّن ملك الله الّذي هو أعيان الممكنات، و الأعيان لا توصف بالتّناهيّ، لأنّها عين ثبوت الحقّ، و لا نهاية لشؤونه دنيا و آخرة، نعم ما وجد منها فهو متناه .

فإذا علمت هذا فاعلم أنّ الأسماء الإلهيّة على أقسام :

منها: الأسماء الإلهيّة المضمرات مثل «هو» و «نحن» و «أنا» .

و منها: الكنايات مثل «الفالق» و «الجاعل» .

و منها: أسماء النّيابة مثل: {وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ }

و هو الواقي عزّ شأنه و السّربال ناب منه منابة في الوقاية .

و منها: ما لم يطلق عليها أدبا و إن نطق القرآن بها مثل: سَخِرَ اللَّهُ,فالتّحجير رفع التّحجير في إطلاق الاسم عليه سبحانه [بالنّسبة] إليه لا [بالنّسبة] إلينا، فلا يسمّى إلّا بما سمّى نفسه و ما منع منه ذلك منع أدبا .

و كذلك الأفعال، فإنّ من الأفعال ما تعلّق الذّم بفاعله كالشّرك و الظّلم و الفساد، و منها ما تعلّق الحمد و المدح بفاعله كالإحسان و الصّبر و الشّكر، و أخبر عن نفسه تعالى بأنّه يحبّ المتّصفين بما يتعلّق به الحمد، و يبغض الموصوفين بما يتعلّق به الذّم، فليس لأحد أن يتصرّف في إطلاق الأسماء عليه أو نسبة الأفعال إليه سبحانه إلّا بما أطلق له التّصرّف فيه، و معرفة التّصاريف ثبتت بإعلامه شرعا لا عقلا، و الحقّ تعالى ما نسب إلى نفسه من الأسماء الحسنى دون غيرها من الأسماء، و إن كان الكلّ أسمائه في الحقيقة إلّا أنّه عراها عن النّعت إلّا بالحسنى .

و أكمل الخلق و أعلمهم بحقائق أسماء اللّه و صفاته الرّسل، لأنّهم ما علموا

إلّا بإعلام الحقّ لهم، و صحّ عن المخبر الصّادق صلوات اللّه عليه: «إنّ للّه تعالى تسعة و تسعين اسما مائة إلّا واحدة، من أحصاها دخل الجنّة »، و قوله : «مائة إلّا واحدة» هو على وجه التّأكيد عند أكثر العلماء، و هو أبعد من التّصحيف في الكتابة لأنّ التّسعة و التّسعين يشبه في الكتابة السّبعة و السّبعين و التّسعة و السّبعين و السّبعة و التّسعين، فأزال الالتباس بالقيد .

و أمّا قوله عليه السّلام: «من أحصاها »، الإحصاء عند علماء الظّاهر بمعنى العلم، و هو معرفة ألفاظها و معانيها، و العثور على حقائق نتائجها و آثارها، و عند أهل اللّه الاتّصاف بها، و الظهور بحقائقها، و العبور على مدارج نتائجها،

ا = هو

اعلم أنّ الهويّة سرّ الإلهيّة، و هو عبارة عن موجود أزلي متفرّد بصفة الجلال و الكمال، و هذا أوّل كلمة دعا اللّه إليها عباده بقوله:{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } فتمّ بها الكلام، ثمّ قال:{ اللَّهُ } و هو الاسم الجامع الخاصّ الدّالّ على الذّات الأحديّة بجميع أجزائه الحرفيّة و حقائقه الوضعيّة، و سرّ الهويّة فيه، إلّا أنّه لا يظهر إلّا بعد

تجرّده عن قيود أحكام الحروف المركّبة، لكمال تفرّده عن الأغيار، و قوّة تنزّهه عن حقائق الآثار .

ثمّ إنّه و إن كان مركّبا من بعض الوجوه من الهاء و الواو، و لكنّ الأصل الثّابت هو الهاء، فإنّ الواو ساقطة في آخر كلمة إليه و في التّثنية و الجمع كقولك: «هما» و «هم »، فبقي الهاء يدلّ على الأحديّة المطلقة عند استهلاك الصّفات، و إسقاط النّسب و الإضافات .

واعلم أنّه للهاء في الهويّة مرتبة الأوليّة، و في الإلهيّة مرتبة الآخريّة، فلها البداية في الهويّة و النّهاية في الإلهيّة، مشيرة إلى أسرار عظيمة، و معان جليلة :

منها: ما يهبّ من معانيها نسمات الرّجاء على قلوب أهل الكشف، و هو أنّ حركة الموجود دوريّة، فعين النّهاية عين البداية، فكما كان السّبق للرّحمة كذلك المآل إليها .

:٣